غسق الأوس

منال سالم

إبداع
للنشر الالكتروني

نوفيلا

غسق الأوس

منال سالم

إبداع

تصميم

غلاف : بيسان بيسو

داخلي : أماني محمود

تعبئة ورابط إليكتروني : أماني محمود

فريق عمل

إبداع

للنشر الإليكتروني

غسق الأوس

منال محمد سالم

إبداع

2020

(ليلة دافئة)

إبعاد صغيريه عنه كان أمرًا مستبعدًا وربما من رابع المستحيلات؛ لكن تلك الليلة مميزة للغاية، أراد أن يحظى بها بمفرده، يجدد معها نوبة الحب الجنوني، فلا يعيق تعميق شغفه بها تذمرات الطفلين، خاصة بعد تلك الفترة العصيبة التي مرت بها العائلة، وما تبعها من ولادة الرضيع "ريان"، واستذكار متواصل لزوجته، جعل روتين الحياة الممل والرتيب يتسلل إلى حياتهما، ولهذا أعد العدة لتتحول فيلته لثكنة آمنة، مدججة بعشرات من أخلص رجاله، من أفراد الحراسة الخاصة، خلال فترة غيابه المؤقتة. أشرف "أوس الجندي" بنفسه على كافة الترتيبات التي تضمن بقاء فلذات أكباده في مأمن من أي مخاطر تهديدية محتملة، حتى أنه دعا شقيقته "ليان" لقضاء الوقت بالداخل معهما، ولا مانع من حضور رفيقه "عدي"، والتمتع بالصحبة الطيبة مع والدته "تهاني"، بعد انتهائه من العمل، ورغم هذا الحرص المبالغ فيه، فقد ظل باله مشغولاً على عائلته ..

تركزت نظراته على "تقى" التي لم تفرغ بعد من مراجعة أصغر التفصيلات مع مدبرة المنزل "عفاف"، وكذلك "ماريا".

بدت ملاكه الحارس فاتنة في ثيابها البيضاء؛ وكأنها تعكس نقاء روحها، وبالرغم من الثراء الفاحش الذي تنعم به في كنفه، إلا أنها تمسكت بتحفظها، فيما يخص نوعية الثياب المحتشمة التي ترتديها. أنيقة، رشيقة، جذابة، خلابة أقل ما يمكن أن يصف به طلتها المبهرة التي دومًا تفتن نظراته، وتجعله عاجزًا عن التطلع لغيرها، وحدها من استحوذت على قلبه قبل عقله. انخفضت نظراته نحو كنزتها الطويلة تجوب على تصميمها المتسق مع رشاقتها بذوقٍ كبير، لتصل عيناه بعدها نحو سروالها المتسع، والذي اتفق مع حذائها الرياضي، حيث وقع الاختيار عليه ليكون مريحًا لها في رحلتها القصيرة، والغامضة. عبث الهواء بطرف حجابها الخفيف، فأعادت ضبطه وهي تلتفت ناحيته، خفق قلبه بقوةٍ؛ وكأنه مراهق حديث العهد بطقوس الحب، لتلك الابتسامة الرقيقة التي ازدانت بها شفتاها.

دنت منه مستطردة حوارها معه، وبربكةٍ لطيفة في نبرتها:

-"حياة" لسه نايمة، و"ريان" قاعد مع "ليان" مش عايزة تسيبه خالص، وأنا هاطلب "عفاف" كمان شوية أطمن عليهم وآ...

قاطعها "أوس"، متطلعًا إليها بنظراته الهائمة، وذراعه يلتف حول خصرها النحيل:

-حبيبتي.. مش عايزك تقلقي.. كلهم عارفين هيعملوا إيه..

رمقته بنظرة استغرابٍ من عينيها الزرقاوين، فأكمل موضحًا لها بهدوئه المعتاد:

-ده غير إننا نقدر نشوف اللي بيحصل جوا الفيلا من كاميرا الموبايل، أنا عامل حسابي.

أشعرها حرصه على أدق التفاصيل بالقليل من الارتياح، ومع هذا عاد القلق ليستبد بها، فسألته وهي ترمش بعينيها:

-يعني كان ضروري أسافر معاك؟ ممكن تروح لوحدك، وأنا مش هزعل.

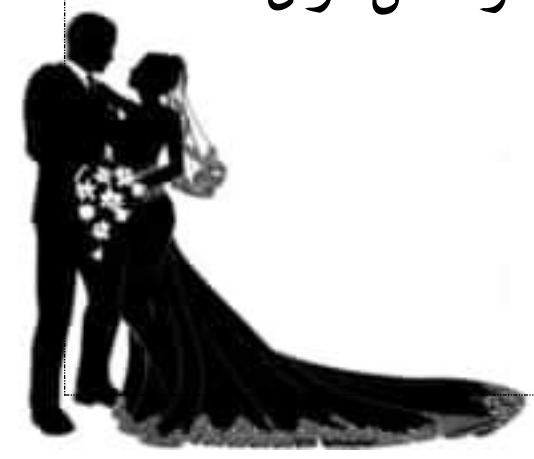

وضع يده الأخرى أسفل ذقنها، داعب بشرتها بإبهامه، وقال لها بلهجته الصارمة، مع نظرة قوية –شبه محذرة- من حدقتيه:

-"تقى"! مش عايز نقاش، لازم تبقي موجودة معايا.

اقتضبت مرددة بإيماءة خفيفة من رأسها، وهي تحاول الابتسام له:

-طيب.

وبلباقةٍ تحسدها عليها الكثيرات، تقدم "أوس" خطوة للأمام، دون أن يحرر خصرها، ليفتح لها باب سيارة الدفع الرباعي، يدعوها للجلوس بها وهو يقول:

-اركبي هنا.

امتثلت لأمره المباشر، وجلست حيث أرشدها، ثم انحنى عليها ليساعدها على وضع حزام الأمان، كان قريبًا من شفتيها، ورمقها بنظرة نهمة تعكس رغبته المتقدة بحبها، توردت بشرتها حرجًا من تقاربه الجريء أمام الخدم؛ لكنه لم يكترث مطلقًا. استقام "أوس" في وقفته، وأغلق الباب لها، ثم دار حول مقدمة

سيارته ليتخذ مكانه خلف عجل المقود، وبتمهل قادها نحو الخارج، ليزيد بعدها السرعة تدريجيًا. أمعنت "تقى" النظر في المرآة الجانبية لها، استغربت من عدم تتبع سيارة أفراد الأمن المكلفين بحراسة رب عملهم، كانا تقريبًا بمفردها، كأشخاص عاديين، التفتت نحوه لتسأله بغرابةٍ معكوسة على ملامحها:

-هي الحراسة مش جاية معانا ؟

منحها نظرة سريعة من عينيه قبل أن يشتت نظراته عنها ليحدق في الطريق مجددًا، وأجاب بغموضٍ زاد من اندهاشها:

-لأ.

على الفور سألته:

-ليه؟

بدا مسترخيًا في قيادته وهو يجيبها:

-أنا عايز كده.

لم تفهم ما الذي يدور في رأسه لإبعاد الحراسة عنهما، في الوقت الذي كثف من تواجدهم في أرجاء فيلته؛ وكأن الحرب على وشك الاندلاع هناك. تنهدت تسأله من جديد، في حيرة واضحة عليها:

-طب احنا رايحين فين؟

ابتسم قليلاً وهو يخبرها:

-هتعرفي..

سألته بحاجبين معقودين بشكلٍ لافت:

-هي مفاجأة؟

ابتسم قليلاً في تسلية مستمتعة بحيرتها قبل أن يعقب بإيجازٍ غامض:

-يعني.

استفزها مراوغته فنادته بصرامةٍ تناقض رقتها:

-"أوس"!

تدلت على شفتيه بسمة عذبة تذيب الفؤاد، ثم التفت نحوها، زرمقها بنظرات دافئة متقدة دومًا برغبته فيها، ليردد بعدها بما يشبه الغزل:

-عيون "أوس".

أربكتها طريقة نطقته المفعمة بالحرارة، وجاهدت لتحافظ على ملامحها جادة حين ردت متسائلة:

-أنا حاسة إن في حاجة فيك متغيرة، قولي في إيه؟ في حاجة حصلت وإنت مش عايزني أعرف؟

حرك "أوس" ذراعه ليمسك بيدها، وخلل أصابعه بين أناملها، منحها نظرة أخرى عميقة، تنطق عما يجيش بين جنبات صدره من رغبات متقدة، ثم استطرد قائلاً:

-"تقى"، حبيبتي .. اهدي كده، لسه السكة قصادنا طويلة.

بدا على وجهها الناعم قلقٍ أكبر من تجاهله لما قالته، وألحت بتذمرٍ:

-ما هو أنا مش مرتاحة من اللي بيحصل ده.

لفظ الهواء ببطءٍ من صدره ليقول لها بنفس أسلوبه الغامض:

-شوية وهتعرفي.. مش إنتي بتثقي فيا.

ردت دون أن تستغرق أي لحظة في التفكير:

-أيوه..

ثم صمتت هنيهة لتضيف بعدها باعتراضٍ حذر:

-بس أصل آ....

تحررت يده من كفها ليضع إصبعه على شفتيها، ألزمها الصمت باختيارها، وقال وهو يداعبها برقةٍ:

-متفكريش في حاجة وأنا معاكي، اتفقنا؟

كان رجاءً عنه أمرًا، فاضطرت أن تكبت فضولها مؤقتًا، علها تحصل في النهاية على الأجوبة المشبعة لفضولها المتنامي بداخلها.

.....

انحرف عن الطريق السريع، بعد قيادة متواصلة، لما يقرب من الساعتين، لينتقل إلى ذاك الآخر الموازي للشاطئ، وهنا تبدلت الملامح المتعبة لأخرى منتبهة، مهتمة بمتابعة المشهد الخلاب. انعكست زرقة الأمواج المتتابعة في حدقتي "تقى"، وزادت من البريق المغري فيهما، بدا الإعجاب واضحًا على تقاسيمها، حين التفتت نحو زوجها تسأله:

-إيه المكان ده؟

أجابها بابتسامةٍ صغيرة:

-عجبك؟

على الفور ردت في حبورٍ شديد:

-ماشاء الله جميل جدًا، بس احنا بنعمل إيه هنا؟

بغموضٍ جاوبها وهو يومئ بإشارة من طرف عينه:

-هتعرفي دلوقتي.

دقائق أخرى، انقضت على كليهما، على نفس الطريق المُمهد حديثًا بالأسفلت، إلى أن أبطأ "أوس" سرعة سيارته ليعرج ناحية إحدى بوابات هذا المنتجع السياحي اللافت للأنظار، والخاطف للأنفاس بتصميمه الخرافي. نظرة خاطفة ألقتها "تقى" على رجال الأمن الذين استقبلوا زوجها باحترامٍ شديد، يليق بشخصه المهيب، حين أخفض الزجاج الملاصق له، لتتضح هويته لهم. أرشده أحدهم نحو طريق آخر جانبي ليسير عليه، وما هي إلا لحظات حتى توقف كلاهما أمام إحدى الفيلات المنعزلات نسبيًا عن باقي المباني، مع فارق أنها تقع ضمن نطاق المنتجع. أوقف السيارة عند المدخل، ثم أخفض زجاج سيارته مجددًا، ليمد يده نحو إحدى اللوحات المعدنية، أدخل رقمًا سريًا فيه، على إثره فتحت البوابة العملاقة المصنوعة من الحديد والزجاج الداكن. أعاد قيادة سيارته عابرًا الحدائق الخضراء التي تحاوط بالفيلا، إلى أن استقرت في النهاية عند بوابتها، حينها فقط حلت "تقى" حزام الأمان، وترجلت منها، لتتطلع بعينين

مبهورتين للون الأبيض الممتزج بالأزرق، حيث تم طلاء الفيلا بهما، استدارت في حماسٍ نحو زوجها لتجده تقريبًا يقف إلى جواره، بعد أن تخلى عن مكانه، سألته في اهتمام:

-دي بتاعة مين يا "أوس"؟

ظهرت ابتسامة من ذاك النوع الذي لا يقاوم على زاوية فمه، قبل أن يجيبها:

-بتاعتنا..

ثم التف ذراعه نحو خصرها ليضمها إلى صدره، وهو يتابع موضحًا:

-لما نحب نصيف أو نغير جو هنيجي هنا.

رفرفت بعينيها بنفس الانبهار البادي عليها، وسألته بتلهفٍ:

-بجد؟ يعني ده الشاليه بتاعنا؟

هز رأسه بإيماءة خفيفة قبل أن يصحح لها، بنوعٍ من المزاح:

-ممكن نسميها فيلا "الجندي".

أضافت بتنهيدة متشوقة:

-بس هي موقعها ممتاز، دي بتشوف البحر كمان.

شعرت بيده الحنون تداعب تقسيمات جسدها، ضاغطة على ثناياه قليلاً، لتبث فيها وخزات من الحرارة والرغبة، أسبل "أوس" عينيه نحوها، ومنحها نظرة متقدة وهو يرد:

-أنا قاصد تكون كده، وكمان اتأكدت بنفسي من الخصوصية بتاعتنا، عشان محدش يضايقنا.

التفتت ناحيته بكامل جسدها، وتعلقت بذراعيها حول عنقه، ثم بادلته نظرات مليئة بالشغف، لتقترب بعدها برأسها منه، محاولة أن تشب على قدميها لتصل إلى رأسه، أغدقت عليه بقبلة بطيئة حسية، نقلت فيها مشاعرها المتأججة، لتتراجع بعدها هامسة بأنفاسٍ مرتبكة:

-أنا مش عارفة أقولك إيه...

اكتفى بالتحديق في زرقة عينيها المغريتين، بينما أكملت ثنائها على روعة ما تشاهده الآن:

-أنا مبهورة من اللي أنا شيفاه برا.

تجولت يده صعودًا وهبوطًا على ظهرها لتدلكه، لم يحد بنظراته عنها، وهو يتابع بنبرة مشوقة:

-ولسه لما تشوفيها من جوا كمان.

تحمست للغاية لرؤية ما أعده لها من مفاجآت سارة، قادها برفقٍ نحو الداخل، دون أن يتحرر خصرها من ذراعه، فقط قام بتبديل ذراعه حين حركها للجانب، ليتمكن من فتح باب الفيلا. علامات الاندهاش السعيدة غطت ملامحها النضرة وقد رأت ممرًا من بتلات الزهور الحمراء يفترش الأرضية اللامعة –ذات اللون الكريمي- حين وطأت عليها، خفق قلبها في سعادة، استدارت ناظرة إليه، وتساؤلات حائرة تنطلق من نظراتها قبل لسانها:

-إيه ده؟

أدارها ناحيته من جديد لينظر بعمقٍ في عينيها، ثم استطرد يهنئها بحبٍ نابع من أعماق فؤاده:

-كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتي.

تطلعت له في حيرةٍ، فأوضح لها وهو يخرج علبة من القطيفة من جيبه:

-عيد جواز سعيد.

ضحكت في حرجٍ، وعضت على شفتها السفلى، قبل أن تعقب عليه:

-إنت لسه فاكر؟

أغرته بعفويتها، وقاوم على أعصاب متلفة تلبية رغباته بأخذها إلى أحضانه، ريثما يطلعها على ما رتبه من أجلها. فتح العلبة ليخرج سوارًا من الألماس، محفورًا عليه أحرف اسمها، ركز عيناه المتوهجتين بالشوق والرغبة على تفاصيل وجهها، امتدت يده لتلتقط كفها، رفعه إلى فمه ليقبله أولاً، ثم لف السوار حول رسغها، ليتأمل بريقه الوهاج في عينيها المبهورتين. حرر بيده حجاب رأسها، ليسقطه أرضًا، ثم

أحنى رأسه عليها، والتقم شفتيها بخاصته، ليعطيها قبلة حسية، عميقة، قوية، متحكمة، قطع فيها أنفاسها، مع تأثيره الطاغي عليها، وتصاعدت الدماء المخضبة بالأدرينالين إلى مناطق الإدراك في عقلها، لتجعل جسدها يئن بحاجته لما يروي ظمأه. تراجع مسافة ضئيلة للغاية، بالكاد مكنتها من التقاط أنفاسها، وأصابعه تداعب جلد عنقها، ليهمس لها بحرارة لفحت بشرتها الملتهبة:

-"أوس الجندي" مابينساش حاجة.

كلماته المعتدة بنفسه، كانت كنوعٍ آخرٍ من الإغراء المثير، الرغبة في الاستئثار به لوحده، عجزت عن التعبير بالحد الأدني من الكلمات أمام عاطفته الجياشة التي لا تفتر أبدًا، خاصة مع تكرار قبلاته الخبيرة، والتي تعرف كيف تشعل الرغبات في الجسد الكامن، حاولت ضبط أنفاسها المضطربة لتستعيد السيطرة على كيانها المهتز، وشكرته بصوتها اللاهث:

-ربنا يخليك ليا يا حبيبي.

تحركت شفتاه لتلمس جانب عنقها، ثم قضم أذنها وهو يهمس لها:

-ولسه في مفاجأة تانية..

انتصبت في وقفتها، ونظرت له متسائلة:

-تاني؟

عينة صغيرة، لزجاجة عطر، يحوي مادة فريدة من نوعها، تم إصدارها بمواصفات معينة، لأجلها خصيصًا، وضعها في راحتها، وقال لها باقتضابٍ آمر:

-جربيها.

تطلعت لتلك الزجاجة التي تشبه زهرة الزنبق، في تصميمها، حجمها صغير، احتواه كفها، رفعت أنظارها الحيرى إليه، وتساءلت:

-وإيه دي كمان؟

يبدو أن الفضول كان مسيطرًا عليها لتتغاضى عن تجربة العطر، مثل بقية النساء، قبل البدء في إلقاء الأسئلة المحققة معه، تناولها منها، وانتزع الغطاء، ليبدأ في نثر الرائحة النفاذة، والمثيرة في نفس الآن على جانبي عنقها، أغمضت

عينيها مستمتعة بتلك الرائحة التي زكمت أنفها، وغزت حواسها، رددت عفويًا باستحسانٍ كبير:

-دي حلوة أوي.

أتاها صوته الهامس العذب في أذنها وهو يقول لها:

-دي معمولة عشانك مخصوص، مافيش منها اتنين.

حركت رأسها بتؤدةٍ لتنظر عن كثب لعينيه المحاصرتين له، وهمست في أنفاس متقطعة:

-عشاني؟

هز رأسه مؤكدًا بصوته الخفيض:

-أيوه، دي هدية نجاحك

ارتسمت علامات الصدمة والجدية على تعبيراتها حين أخبرته بصيغة متسائلة:

-إيه ده؟ هي النتيجة ظهرت؟

أخفى ابتسامة متسلية وهو يرد نافيًا:

-لأ.

ظلت تعابيرها محتفظة بجديتها وهي تحاصره بأسئلتها المستريبة:

-أومال إنت عرفت إزاي؟

غمز لها قائلاً بنوعٍ من الغرور:

-مافيش حاجة تقف قصادي لو عوزت أعرفها.

ضاقت حدقتاها وهي تحملق فيه بتوجسٍ قلق، فوضع بين شفتيه ابتسامة مطمئنة، ليقول لها بعدها عن ثقة:

-متخافيش، عرفت النتيجة من الكنترول، وكتير ما بيصدقوا يعملوا خدمة ليا.. ما أنا مش أي حد، وماينفعش أستنى زي الباقي.

لكزته في صدره، كنوعٍ من الدلال عليه، ثم هتفت بعبوسٍ زائف تشكل على وجهها:

-إنت مغرور أوي!

شهقة خافتة تحرر من بين شفتيها حين اختفت الأرض من أسفل قدميها، لتجد نفسها بين ذراعي زوجها، اقترب برأسها منها، وقال لها بغطرسةٍ لا يُجيدها غيره، وتلك النظرة العابثة تمسح مفاتن معشوقته:

-أنا "أوس" باشا، مش أي حد.

.....

رفع رأسه عن الماء قبل أن يخفضه مجددًا، وهو يسبح جيئة وذهابًا، على طول المسبح الذي يقبع بداخل الفيلا. كان مصممًا بشكل يتيح للمتواجد به رؤية ما يحدث بالخارج، من خلال الزجاج المعاكس، ودون أن يسمح بحدوث العكس.

استند "أوس" على حافة المسبح، منتظرًا بترقبٍ وشوق، حضور زوجته لتشاركه السباحة؛ لكنها استغرقت وقتًا زائدًا عن المعتاد، كاد أن ييأس من مجيئها، لولا أن سمع تلك الخطوات القادمة من على بعد، التفت برأسه نحو

الجانب الآخر، ليجدها ترتدي روب الاستحمام القطني، تحكم غلقه على جسدها، فلا يرى سوى القليل من ساقيها، ابتسم في استهجانٍ، وعاتبها بهدوءٍ:

-فينك كل ده؟ أنا قولت هاقضيها لوحدي هنا.

أجابت وهي تقضم شفتها السفلى في ربكة عظيمة:

-عقبال ما كنت بأجهز.

نظر لها بغرابةٍ، فالسباحة لا تحتاج لثياب كثيرة، ومع ذلك لم يمنع نفسه من التعليق، عندما رأها تجلس على المقاعد الجلدية المريحة، والموضوعة أمام المسبح:

-وإيه ده اللي إنت لبساه؟

تلون وجهها بحمرة ساخنة، لا تعرف من أين جاءت لتظهر المزيد من خجلها، وقالت ببحة خفيفة:

-أصلي سقعانة و.. كده يعني.

كانت تخجل من الظهور بثياب السباحة شبه العارية أمام نظراته المتقدة، ما زالت متحفظة، وتنتابها تلك المشاعر المرتبكة، حين يتعلق الأمر برؤيتها مجردة مما يمنحها الحشمة. سَبِح "أوس" في اتجاهها، وقال مشجعًا إياها، لتتخلى عن روبها الأبيض السميك:

-ده الجو حلو جدًا، اقلعيه.

ترددت في الاستجابة له؛ لكنه أنذرها بلهجة لم تبدُ مازحة:

-ولو عايزة مساعدة، فأنا جاهز.

احتجت بخجلٍ أكبر:

-لأ خلاص، أنا هاعرف.

أولته ظهرها، محاولة التحكم في الارتباك الخجل الذي يغزوها الآن، تنفست بعمقٍ، واستلت الحزام الذي يحكم جانبي الروب عنها، أطبقت على جفنيها بقوةٍ، وتخلصت بصعوبة مما يحجب جسدها البض عن عينيه. لفظت "تقى" الهواء

المحبوس من صدرها، وببطءٍ استدارت لتنظر إلى وجهه الذي امتلأ بتعابير جائعة، ترغب في ممارسة الحب فورًا معها، هي تعرف تلك النظرات جيدًا، خاصة مع تحديقه البطيء على كل تفصيلة أنثوية تمتلكها؛ وكأنها تحت الفحص، بالرغم من ثوب السباحة الأزرق الذي ارتدته؛ كان عبارة عن قطعة واحدة، مطابقًا للون عينيها، ذي حمالات رفيعة، وفتحة صدرٍ تظهر أكثر مما تخفي، تماثلها أخرى أكثر عمقًا تحتل ظهرها، مما ضاعف من فتنتها المهلكة.

تلوت ساقها على الأخرى في ربكة، وتقدمت بخطوات حذرة نحو المسبح، لتجده يرفع ذراعيه للأعلى لاستقبالها، تجمدت في مكانها، وسألها بعبثٍ:

-إنتي مكسوفة مني؟

لم تجبه، فزاده حماسًا في التودد إليها لجذبها إليه، بلع ريقه بصعوبة، ليبدو متماسكًا أمام كل هذا الإغراء المُدمر، وشجعها من جديد:

-تعالي، ده مش غويط، شوفي أنا واقف فيه عادي.

تأملت استقامته في المسبح، كان الماء يصل إلى ما بعد صدره؛ لكنه حتمًا سيجعلها تقاتل للوقوف على أصابع قدميها قبل أن يخترق فمها أو أنفها، وتجبر على ابتلاعه، وربما يؤدي ذلك لاختناقها. ظهر التردد عليها، واعترفت بقليلٍ من الرهبة، معبرة عن مخاوفها:

-أنا مابعرفش أعوم، وجايز أغرق لو نزلت فيه.

استند "أوس" على كفيه ليدفع جسده خارج المسبح، انساب الماء من عليه ليبلل الأرضية، وتقدم نحوها مؤكدًا لها بنبرته الواثقة:

-وأنا مش عايزك تخافي، أنا موجود عشانك.

أمسك برسغها ليجذبها إليه؛ لكنها قاومته قليلاً، غلف نبرتها التوسل وهي تناديه:

-"أوس".

لم يحتج لكثير من الجهد لسحبها نحوه، قوة لطيفة مكنته من احتوائها في أحضانه، استقرت كلتا يديه على خصرها، ونظر إليها بنظرات ساهمة هامسًا لها:

-بأحبك

غابت عيناها في نظراته الحنون، وسألته:

-مش هتيجي يوم تزهق مني وتبطل تحبني؟

كركر ضاحكًا في سخرية؛ وكأن مجرد صياغة ذلك السؤال تحديدًا يعد أمرًا مرفوضًا، توقف عن الابتسام ليتعهد لها بما لا يقبل الشك مطلقًا:

-أزهق! استحالة، ولو ده حصل يبقى أكيد مت.

هتفت دون تفكير، واضعة سبابتها على فمه:

-بعد الشر عليك.

سرت في أوصاله رغبة أخرى تفتك به، تحتاج إليها لإطفاء المشاعر المستعرة بكيانه، قبل إصبعها، وسألها، وهو يجوب بأصابعه على مفاتيح أنوثتها الطاغية:

-مش هتقوليلي بأحبك؟

ذوت بين يديه المداعبتين لمنحنياتها، وهمست له بآنة خافتة:

-أنا بأعشقك، مش بس بأحبك.

كانت مكافأة ما اعترفت به قبلة أخرى استأثرت على مشاعرها غير المنطوقة، ثم أخفض رأسه في منحنى عنقها ليضع بضعة قبلات صغيرة عليه، اشرأبت بعنقها قليلاً لتتيح له المجال ليتذوق شهدها المغري، واستمتعت بجوارحها بتلك الشرارات اللذيذة التي تتفشى في جسدها، توقف عما يفعل ليقول لها مداعبًا:

-ده مش هيمنعنا ننزل سوا المياه

انتفضت رافضة التجربة، وأصرت على عنادها:

-لأ بلاش.

-"أوس" ما يتقالوش لأ.

قالها زوجها وهو يجرها بقوة خلفه، ليلقي بها في غمضة عين في المياه، دون أن يفلتها ذراعه. كل ما شعرت به بعد ذلك، هو برودة رطبة غزت جسدها، مع انتعاش لطيف جعلها تدرك ما كانت تفوته على نفسها، ضحكت من عبثه الجاد

معها، وحاولت مجاراته في السباحة، فخبطت صفحة المياه بذراعيها بشكلٍ أحمق، أدى لنثر المياه بغزارة فوق رأسه، مازحها بضحكٍ متسلي:

-كده إنتي بتعومي؟

هزت رأسها عن اقتناعٍ تام:

-أيوه، ولو سمحت ماتتريقش.

ضحك في بساطةٍ، وهو يرد:

-خدي راحتك.

تراجع للخلف ليترك لها مساحة كبيرة لتعبث المياه، دون أن يقاطعها بأي تعليقات ناصحة، أرادها أن تكون على طبيعتها، تخوض التجربة بتلهفٍ، متخلية عن مخاوف وهمية، لا مكان لها إلا في فضاء خيالها. راقبها باشتهاءٍ وهي تسعى بشكلٍ دؤوب، لإثبات مهارة لا تجيدها، لم تيأس، واستمرت في اجتهادها، وبعد برهة من المحاولات الفاشلة، تخلت "تقى" عن حماسها، وقررت إبقاء جسدها

في المياه؛ لكن بحنكته الخبيرة، حوَّل "أوس" اللهو بينهما، إلى حب جارف، من النوع الحميمي الخالص.

.....

حاولت بشتى الطرق أن تكبت أسئلتها بعد أن طلب منها تبديل ثيابها المنزلية بأخرى أنيقة، تصلح لسهرة ليلية من النوع الرومانسي، لهذا وقع الاختيار على ثوب طويل من اللون الأسود، أكمامه واسعة، تضيق عند الرسغين، وفتحته بالكاد تظهر عنقها، لكنها أخفت ما برز من بشرتها بحجاب رأسها النبيذي، بالطبع لم يكن لينتهي يومها الحافل هكذا؛ لكن فضولها تغلب عليها، وسألته وهي تضع قدماها في حذائها الأسود:

-رايحين فين دلوقتي؟

تابعها بنظراته وهي تعتدل في وقفتها، ثم ساعدها في ضبط طرف حجابها ليعيده للخلف، قبل أن يقول بصوته الهادئ:

-هنتعشى.

علقت بتلقائية:

-ما في أكل في البيت.

اعترض بلباقةٍ، وهو يتأكد من ضبط رابطة عنقه السوداء المطعمة بخطوط رمادية متدرجة في درجات لونها:

-لأ .. النهاردة يوم مميز، ولازم يبقى مختلف في كل حاجة.

طفرت الفرحة من نظراتها، وذلك ما كان ينشده، أن يجد السعادة على تعبيراتها.

استقلا السيارة متجهين إلى مكان ليس ببعيد عن الفيلا، ضمن المنتجع المميز، مكان مخصص لصفوة المجتمع، لتناول الأطعمة العالمية والشهيرة، يُطلق عليه "البلازا"، وهو مصمم على هيئة سفينة مصنوعة من الزجاج، مكون من عدة طوابق، ومعظم بدنه ينغمر في مياه البحر، والحوائط زجاجية تمكن مرتادي المكان من التمتع بمنظر طبيعي فريد، حين تتعانق أمواج البحر، مع مقدمة البلازا. قام "أوس" بحجز الطابق العلوي بأكمله، ليحصل على خصوصية كاملة، لا يقاطعه فيها نظرات المتطفلين، ولا أعين المتلصصين. بمجرد أن وطأته،

ارتكزت نظرات "تقى" على المياه المُضاءة من الخارج، ثم هتفت في إعجابٍ بائن أيضًا في نبرتها:

-المكان تصميمه حلو أوي.

وضع يده أعلى ظهرها ليقودها خلال سيرهما، وعقب عليها:

-بالنهار شكله أحلى..

ثم ثبت نظراته عليها، لم يكن بالمازح أبدًا، وقد اقترح عليها بجدية بحتة:

-لو عجبك أشتريهولك.

برقت نظراتها في ذهولٍ صادم، ثم اعترضت بشدة:

-لأ مش للدرجادي، ده باين غالي أوي.

تبينت مدى جديته، حين رد دون أن تطرف عيناه:

-مافيش حاجة تغلى عليكي، إنتي بس أطلبي.

خفق قلبها بقوةٍ، كانت متأكدة أنه لن يدخر ما في وسعه لإسعادها، وإن كان يقتضي ذلك إنفاق كامل ثروته عليها، وبلا ذرة ندمٍ واحدة، رمقته بنظرات مليئة بالاعتزاز والامتنان، بسمة رقيقة تزين بها ثغرها، لو لم تمر معه بكل تلك التجارب القاسية، لما عرفت الآن معنى السعادة الحقيقية! كان قادرًا على العطاء بشكلٍ يوازي نفس قدرته الرهيبة على الانتقام، وهي اختبرت معه الجانبين، وتعرف مدى المعاناة التي يخوضها لإبقاء الجانب الوحشي السيء كامنًا في الأعماق، ليظهر محبًا، لطيفًا، وهادئًا. قطعت تواصلها البصري معه فجأة، وقد جاء مدير المطعم للترحيب بهما باحترامٍ مبالغ فيه:

-أهلاً وسهلاً بالباشا .. نورتنا يا فندم.. اتفضلي يا هانم.. المكان كله محجوز لحضرتك، والـ staff منتظر أوامر معاليك عشان نبدأ.

هز رأسه في رضا وهو يرد:

-تمام.

همست "تقى" متسائلة في عدم تصديق:

-كل ده عشاني؟

رد بنوعٍ من المدح:

-يا ريت يكون عجب تلميذتي المتفوقة.

قالت بتنهيدة وهي تسبل عينيها نحوه:

-أنا أقل حاجة منك ترضيني.

تلك النظرة الخطيرة التي تفتنه وتُذهب عقله، كانت إحدى نقاط ضعفه، لها كل التأثير على بدنه. انخفضت يد "أوس" لتمسك بكفها، خلل أصابعه في يدها، وهتف قائلاً بصوتٍ عذب، لكنه خافت، لا يسمعه سواهما:

-كفاية وجودك في حياتي، مستعد أعمل أي حاجة عشان أشوف البصة دي في عينيكي.

من تلقاء نفسها اعترفت مجددًا، ودون الحاجة لأي مظاهر براقة، لتبوح بمشاعرها:

-أنا بأحبك.

أحنى رأسه عليها هامسًا لها بما يشبه التحذير:

-بالراحة عليا، في لحظة هاكنسل ده كله، وأخطفك من هنا.

.....

حافظ على خيط الوقار الجاد مع زوجته، خلال إشراف مدير المطعم على تلبية طلباته بتفانٍ واضح، ليستأذن بعدها الأخير في تهذيبٍ شديد، متمنيًا شهية طيبة لكليهما. نظرت "تقى" للطعام الموضوع أمامها، كانت الأطباق منسقة كتحفٍ فنية، تخشى المساس بها، حتى لا تفسد لمسة الطاهي المحترف، مطت شفتيها قليلاً، ثم استطردت هاتفة بعدها بربكةٍ ظهرت عليها:

-مش هاعرف أكل، الناس ممكن تضحك عليا.

بإشارة جادة من عينيه قال لها:

-بصي حواليكي، مافيش حد يقدر يزعجك، فكلي زي ما إنتي عاوزة يا حبيبتي.

أوضحت له بتوترٍ لم يخبت بعد:

-أنا اتعلمت شوية حاجات في دروس الاتيكيت اللي بأحضرها، بس مش عارفة إن كان ده صح ولا لأ؟

مد "أوس" يده ووضعها على راحتها المسنودة على الطاولة، احتضنها بأصابعه، ثم نظر لها في عينيها ليؤكد لها:

-"تقى"، أنا بأحبك في كل حالاتك.

ابتسمت في رقةٍ لدعمه، وحاولت أن تتخلى عن رهبتها من التطبيق العملي لما درسته خلال الفترة المنصرمة، لتبدو كسيدة مجتمع أنيقة، لا تحرج زوجها إن اضطرتها الظروف لمشاركته إحدى المناسبات الاجتماعية التي تتطلب حضورها، متذكرة تلميحات "رغد" المريضة عن جهلها، وتخلفها الفاضح، بالإضافة لعجرفتها، ونظراتها الاستحقارية الموجهة لشخصها. هاجمتها أسوأ اللحظات البائسة؛ لكنها نفضت جميع أفكارها السوداوية، المتعلقة بالماضي، عن رأسها،

واستمتعت بعشائها الشهي مع زوجها السخي، بدد الأخير لحظات الصمت التي سادت بينهما، ليسألها في اهتمامٍ:

-قوليلي، فكرتي تعملي إيه بعد ما خلصتي دراسة؟

أجابته بعد أن لاكت سريعًا قطعة الطعام الموجودة في فمها:

-في كام كورس كده بأشوفهم، "ليان" هتساعدني أختار المناسب ليا.

هز رأسه معلقًا:

-عاوزة نصيحتي، ما تعتمديش عليها.

قطبت جبينها متسائلة في استغراب:

-إنت بتخوفني منها ولا إيه؟!

علل مدللاً على أسبابه المنطقية:

-لأ، بس دماغها غيرك، ميولها عكسك تقريبًا، إنتو مختلفين عن بعض، وفي النهاية إنتي حرة في اختيارك، أنا مش هامنع.

تطلعت إليه مليًا؛ وكأنها تفكر في أمر ما، والحق يُقال أنه استحوذ على تفكيرها لوقتٍ لا بأس به، وربما جاء الوقت لإخراجه من حيز عقلها، وتطبيقه على أرض الواقع. استجمعت "تقى" رباطة جأشها، ولعقت شفتيها، لتقول له بلعثمة خفيفة:

-طب "أوس"، في حاجة كده كنت عاوزة أطلبها منك..

لم تتبدل تعابيره الهادئة، وشجعها على المضي قدمًا في حديثها قائلاً:

-قولي يا حبيبتي على طول.

بلعت ريقها، وحادثته بترقبٍ:

-أنا .. عاوزة أتعلم الكتابة الأدبية.

بدا ميلها غريبًا عليه، فسألها بلهجة جمعت بين الجد والهزل:

-الكتابة؟ هو إنتي مش بتعرفي تقري وتكتبي؟ ده باعتبار إنك خلصتي دراسة.

فسرت له مقصدها، بنوعٍ من الحماس:

-لأ مش اللي في دماغك، أنا عاوزة أكتب روايات، يعني أألف قصص كده.

زم شفتيه مكررًا كلماتها:

-تكتبي روايات!!!

راقبت بتمعن تعابيره المسترخية، لم يظهر أدنى تغيير على ملامحه، ومع هذا سألته:

-مستغرب صح؟

قال موجزًا:

-شوية، بس ليه؟

أسهبت في التعبير عن هوايتها الجديدة التي استمالتها:

-بصراحة كده، بأشوف في الدار حالات صعبة أوي لناس ظروفها مختلفة، نفسي الكل يعرف عنهم، يعرف أد إيه هما مظلومين، وفي ناس مابترحمش.

لمحة من الألم غلفت نبرته وهو يقول مباشرة:

-زيي كده؟ ما أنا كنت واحد من الناس دول.

تجمدت نظراتها عليه، ربما أفرطت في الإيضاح، ولامست دون قصدٍ، ذلك الوتر الحساس الذي جمع بينهما، على الفور تراجعت عن زلتها لتعتذر منه:

-أنا أسفة، والله ما اقصد يا "أوس"، أنا بأتكلم في العموم.

ظنت أنه سينبذ تلك الفكرة، وربما يعارضها بشدة، وبدأت ترجح كفة ذلك القرار في تفكيرها، مع صمته الغريب الذي حل بينهما؛ لكنه باغتها بإبداء موافقته:

-خلاص يا حبيبتي، طالما ده اللي عاجبك، شوفي المطلوب ونعمله.

تفاجأت من دعمه لها، وهتفت غير مصدقة، وتلك النظرة المذهولة تبرز من عينيها الزرقاوين:

-يعني إنت مش معترض؟

قال نافيًا بنبرة شبه هازئة:

-لأ.. بس أوعي تطلعي البطل شبهي.

عضت على شفتها السفلى، وهزت كتفيها قائلة:

-على حسب.

حذرها بنظرة صارمة:

-هترجعي تندمي بعد كده.

-أنا لسه هتعلم، متقلقش.. ويعني لو خدت تفاصيل، هتبقى حاجات بسيطة أوي.

استحضر عقله تلك الجملة الساخرة التي يقرأها على مواقع التواصل، كانت مناسبة لاستخدامها في هذا الموقف تحديدًا، ولم يمانع في مشاركتها زوجته، لذا قال بصوتٍ هادئ رزين:

-تمام، كده هابقى الشرير في رواية أحدهم.

انفجرت ضاحكة على ما أسمتها طرفة عكست حقيقة مؤلمة، ومع هذا قالت مادحة إياه:

-أجمد شرير في حياتي.

لكنه عاد ليشدد عليها، بنوعٍ من العجرفة، وهو يغمز لها بطرف عينه:

-خليكي فاكرة، "أوس الجندي" واحد وبس!

.....

على الجانب الآخر، وتحديدًا في الطابق السفلي، حيث جلس أغلب رواد المكان مجتمعين بالأسفل؛ وكأن السماح لأحدهم بالصعود للأعلى –في مثل هذا التوقيت- يحتاج لفرمان رئاسي استثنائي. لمحت إحدى السيدات، والتي تدعى "لميس" صاحب الوجه الصارم يبتسم، لم تكن ملامحه بالغريبة عليها، كانت واثقة أنها رأته من قبل، اعتصرت عقلها اعتصارًا لتتذكر أين شاهدته من قبل، تأهبت في جلستها بعد أن عرفت هويته، وهتفت تقول لصديقتها الجالسة إلى جوارها:

-مش ده "أوس الجندي"، صاحب مؤسسة "الجندي" للصلب؟!

رفعت رفيقتها رأسها للأعلى لتنظر بتدقيق إلى وجهه، وقالت في اندهاشٍ:

-أه هو، بس بيعمل إيه هنا؟

مطت "ليس" فمها بقليلٍ من الإعجاب لتضيف بعدها بكلماتٍ بدت غامضة:

-عشان كده .. ممم.. أنا فهمت دلوقتي.

لم يتفقه ذهن الأخيرة لما تنطق به، فسألتها مستوضحة:

-فهمتي إيه؟

ردت، وتلك النظرة المستريبة تتجول في حدقتيها:

-البلازا كلها من الصبح محجوزة للباشا.

-قولتيلي.

زاد فضولها مع رؤيتها لتلك المتدللة عليه، كانت تتحدث معه في انسجام واضح،

فتساءلت بنظرات ضاقت بشكلٍ ملموس:

-ودي مين اللي معاه؟

بمنطقية أجابتها:

-أكيد مراته، إنتي مش شايفة الدبلة في إيده الشمال.

لم تنكر أن شعورًا بالغيرة اجتاحها، فمحظوظة تلك التي يقترن اسمها برجلٍ مهيب مثله، استنكرت وجودها إلى جواره، مع رؤيتها لحركاتها العفوية في التفاعل معه، والتي اعتبرتها مليئة بالهوجائية، لا تليق بسيدة مجتمع راقية، لها أصول طبقية شبه أرستقراطية، ظهرت أمارات الاشمئزاز على قسماتها، ورددت في تأفف صريح:

-مش معقول، بصي عليها، دي شكلها لوكال أوي، Eww

شاركتها الرأي، وعلقت بنفورٍ:

-بصراحة، محدش يتخيل إنها كده!

تنمرت كلتاهما عليها بشكلٍ وقح، ومهين، وأضافت "لميس" مستفيضة في معلوماتها عنها:

-ده بيقولوا إنها قريبته، بجد شكلها مقرف، جمالها مش حلو خالص.

هزت رفيقتها رأسها توافقها أيضًا:

-معاكي حق، احنا أحلى منها بكتير.

نظرة فوقية منحتها لـ "تقى" قبل أن تتابع ازدرائها لها:

-أكيد دي عدسات اللي حطاها، وبعدين لسه في حد بيلبس حجاب.

امتعضت ملامحها وهي تدمدم باستهجانٍ:

-بلدي أوي.

لمحتها "لميس" وهي تنهض من مكانها لتتجه نحو الدرج، كان الطابق العلوي خاليًا من الحمامات، لاستغلال المساحة بشكلٍ جيد، لهذا كان يضطر معظم الحضور للهبوط للطابق الأدنى، لاستخدام الحمام. تأكدت من صدق حدسها مع تواجدها على مسافة قريبة من طاولتها، لذا مالت على رفيقتها، وهمست لها بلؤمٍ، ونظراتها الماكرة لم تفارق "تقى":

-بأقولك إيه، دي شكلها رايح التويلت، تعالي نشتغلها هناك.

لقت قبولاً منها، وردت توافقها:

-أوكي .. بس هنعمل إيه معاها؟

غامت نظراتها بشرٍ مستطر، وقد أخبرتها:

-احنا هنفضحها على الميديا، هنعرف الناس مين الشخصية البلدي اللي متجوزها الباشا، خدي موبايلي وصورينا.

صفقت بيدها في حماسٍ، وهي ترد:

-واو.. دي فكرة رهيبة!

.....

أعادت ضبط حجابها الذي ارتخى قليلاً، بعد غسل يديها وتجفيفهما بالمناشف الورقية، لتبدو محتفظة بهيئتها الأنيقة المرتبة. لمحت "تقى" في انعكاس المرآة انضمام سيدتين لها، كان تقف على مسافة بعيدة عنهما، ولم تحاول التطرق لحديثهما الساخر، معتقدة أنهما يعلقان بتهكمٍ على غيرها، ظهر الضيق بشكلٍ كبير على

محياها، وقد أدركت أنها المقصودة بجملها الناقمة. بذلت الكثير من الجهد لتبدو ثابتة، غير متأثرة بطعنها في شخصها، حتى لا تتسبب في فضيحة، في هذه الليلة الخاصة؛ لكن طالها الأذى بصورة أكبر، وأكثر وقاحة، عندما تعرضت لها "لميس" هاتفة:

-إيه القرف ده؟ أنا مش عارفة إزاي يسمحوا لأشكال الفلاحين دول يخشوا هنا؟!

ثم دنت منها لتدفعها عن طريقها، وهي تهينها بلسانها:

-حاسبي يا بتاعة إنتي؟

للوهلة الأولى تزعزعت ثقتها بشخصها أمام سطوة تلك المرأة المتعجرفة، فهيئتها توحي بإمكانيات ممددة، وقدرة على سحق الآخرين، رغم أنها لا ترتقي أبدًا لبراعة زوجها، لكن تلك طبيعتها المسالمة، دومًا تطغى عليها، ومع هذا تعاملت معها "تقى" باحترامٍ لا يتفق مع ما يدور، وسألتها بصوتٍ شبه مهتز، علها تنهي هذا الخلاف العجيب دون خسائر:

-أفندم، حضرتك بتكلميني؟

حدجتها "لميس" بنظرات متعالية قبل أن تواصل هجومها المهين، وقد فطنت لكونها من النوع الضعيف، المتخاذل:

-حضرتي بيقولك أه، باين عليكي الـ nanny جديدة هنا، اللبس ده بقى شحتاه من مين؟

ارتفع حاجباها في دهشةٍ من اتهامها، وتطاولها المسيء، بالكاد خرج صوتها ثابتًا من بين شفتيها وهي تدافع عن نفسها:

-إنتي غلطانة.. ولو سمحتي حاسبي من طريقي.

اتخذت رفيقة "لميس" موضعها لتكمل تصوير الشجار النسائي من زاوية أوضح، يظهر فيها وجه "تقى" بالكامل، وهتفت مرددة:

-دي مش بتعرف انجليش يا "ليمو"، كلميها عربي جايز تفهم.

علقت ساخرة منها:

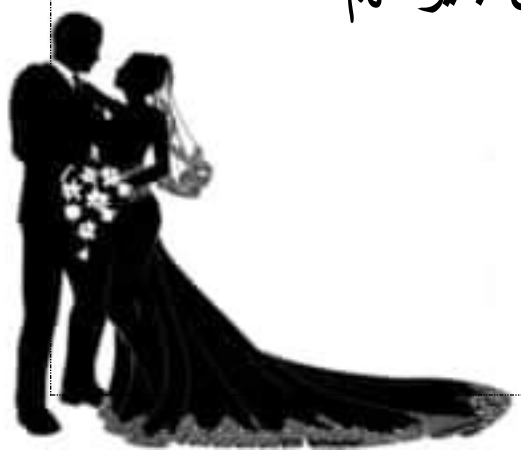

-ولو إني أشك إن أمثالها يعرفوا أصلاً يفهموا...

ثم لكزتها من كتفها قاصدة دفعها للخلف، وأمرتها باستعلاءٍ:

-روحي هاتي مناديل تانية غير دول.

اشتدت ملامحها تقلصًا، وردت بجراءة استغربتها شخصيًا:

-مناديل، على فكرة إنتي مش محترمة، وحتى لو كنت باشتغل عاملة في المكان ده، فميصحش تكلميني كده..

وقبل أن يتطور الوضع للأسوأ كانت إحدى العاملات تلج للحمام لتنظر إلى المرأتين المتحفزتين باسترابة، قبل أن تلمح التي تقف بالجانب، وبيدها هاتف محمول ترفعه للأعلى، وزعت نظراتها بينهن، وتساءلت:

-في حاجة يا هوانم؟

ردت "لميس" بقسوة غلفت نبرتها الآمرة:

-مافيش .. شوفي شغلك.. وملكيش دعوة باللي بيحصل

اندفعت "تقى" للأمام مُنحية تلك الغريبة عن طريقها، وكافحت -بغصة عالقة كذلك في حلقها- لتكبح تلك الدمعة المتسللة إليها، وخرجت من الحمام بملامح باهتة، وواجمة. توقفت على الدرج للحظات لتستعيد السعادة التي اختفت من عليها، فشلت في استدعائها مع رؤيتها لنظرات "لميس" الاحتقارية، اختفت من أمامها آملة ألا يكتشف زوجها ما مرت به من إحراجٍ جديد؛ وإلا لأقام الدنيا، ولم يقعدها.

.....

النظرة الدونية التي سددتها نحوها كانت كفيلة بتصعيد التوتر فجأة، عادت "تقى" إلى مقعدها، بالكاد لامست الحلوى الموضوعة قبالتها، ولم تتوقف عن تناول الماء، تطلع إليها "أوس" بغرابةٍ، خاصة مع رجائها المريب:

-ممكن نمشي بعد إذنك؟

ضاقت عيناه بشكٍ، قبل أن يسألها:

-حصل إيه يا "تقى"؟

حركت شفتيها بصعوبة، لتضبط بإحكام نبرة صوتها، وهي ترد:

-مافيش.

سألها بنظرة نافذة:

-في حد ضايقك؟

اختنقت العبرات في عينيها، وبدت عاجزة عن الاحتفاظ بهم وهي تصر عليه بتوسلٍ:

-لأ.. بس أنا عاوزة أمشي، عشان خاطري، خليني أبعد عن هنا

رد بوجهٍ تحول لكتلة من الصخر:

-تمام

ثم أرسل إشارة من عينيه الغائمتين، إلى مدير المطعم، ليأتي الأخير مسرعًا إليه، أطرق رأسه في احترامٍ مبجل وهو يسأله:

-أوامر معاليك يا باشا.

سحبه بعيدًا عن زوجته، ثم تحدث بصوتٍ جعله باعثًا على الرهبة، وهو يخرج أحد بطاقات التعريف الخاصة به، والمدون عليها بريده الإلكتروني الخاص:

-تسجيلات الفيديو في آخر نص ساعة للمكان كله تتبعتلي فورًا.

من المؤكد أن كارثة حدثت، وإلا لما انتهت تلك الأمسية سريعًا، هكذا ردد مدير المطعم لنفسه، متطلعًا بارتعابٍ لصاحب السلطة، لكنه لم يقوَ أبدًا على الاعتراض عليه، وقال صاغرًا له:

-حاضر يا باشا، كل حاجة هتكون عند سيادتك، أي أوامر تاني يا فندم؟

رد عليه "أوس" بلهجة مهددةٍ:

-أحسنلك ملاقيش اللي يضايقني.

أحس المدير بتوقف دقات قلبه عن العمل بعد سماعه لتهديده العلني، رمش بعينيه في رعبٍ أكبر لثانية تجرأ فيها على النظر نحوه، ولم يجرؤ بعدها على رفع

عينيه نحوه، ظل محنيًا لرأسه لبعض الوقت بالرغم من انصـرافه، اجتاحته رعشة موترة، تكاد تقضي على حياته، وهو يدمدم مع نفسه:

-استر يا رب، شكل الليلادي مش هتعدي على خير.

.....

استحوذ الصمت على ما تبقى من تلك الأمسية اللطيفة، مع عبوس واضح، نظرات مشتتة، وتعابير شاردة. عاد الاثنان إلى الفيلا، ولم يسعَ "أوس" للضغط على زوجته، للخروج منها بمعلومة مفيدة، توضح له التغيير المقلق الذي انتابها، سيحصل على غايته بطريقته، وبعيدًا عن إحراجها. وقف في مكانه بالردهة المتسعة، ونظراته تتابع حركتها وهي تتجه نحو المطبخ، ثم أخبرها بهذا النوع من الهدوء الذي يسبق العاصفة:

-هاعمل شوية تليفونات على السريع، وراجعلك يا حبيبتي.

حركت رأسها بتفهمٍ وهي تهمهم قائلة بفتورٍ:

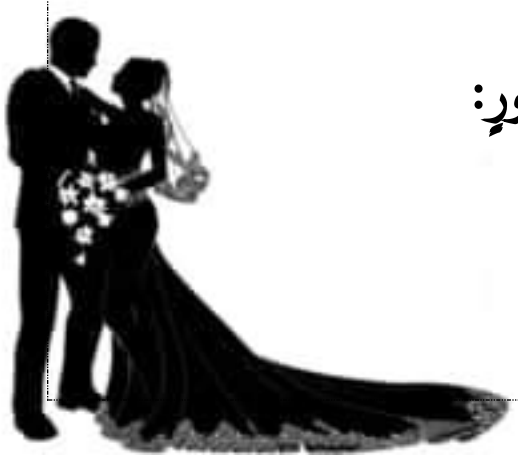

-ماشي.. خد وقتك.

لاحقها بنظراته إلى أن اختفى أثرها، حينها استدار متجهًا إلى خارج الفيلا، ليقف في الحديقة المتسعة، تخلص من رابطة عنقه، وحرر أزرار قميصه ليكشف عن معظم صدره المتخم بالعضلات المشدودة، ثم بدأ في متابعة ما أرسل إليه عبر البريد الإلكتروني، وكانت المفاجأة الصادمة، عن تحرش إحدى السيدات الراقيات بزوجته، وتعريضها لنوعٍ من التعنيف اللفظي، والأسوأ من ذلك بدء تداول التسجيل المرئي على مواقع التواصل بشكلٍ متهكم ومهين، ذكره هذا التفكير الشيطاني بنفس الواقعة المؤسفة التي حدثت في الماضي، وكطبيعة الحال، لن تتوقف وسائل الإعلام عن الخوض في شرفه بشتى الطرق، لذا كان عليه أن يوأد تلك المهزلة قبل أن تندلع أكثر، وبطريقة حاسمة، رادعة. استغرق وقتًا في التفكير؛ لكنه استغله في التخطيط للثأر لكرامة زوجته. وضع هاتفه المحمول على أذنه، وقال بلهجة قاتمة بعد أن هاتف أحدهم:

-قريت الميل.

أتاه صوت محاميه معقبًا:

-أيوه يا باشا، وهيتم اتخاذ كل الإجراءات القانونية.

تابع "أوس" مليًا أوامره عليه:

-عاوز بيان شديد اللهجة يطلع على لساني لأي جهة تتكلم عن اللي حصل، وأي أثر للفيديو ده يتمسح من على السوشيال ميديا، كأنه محصلش، مفهوم؟

رد دون نقاشٍ:

-تمام معاليك.

أضاف بعد ذلك بنفس النبرة الصارمة:

-والمعلومات بالكامل عن الست دي وجوزها، ده لو كانت متجوزة أصلاً، تكون عندي، فيها كل حاجة، فاهمني؟

على الفور جاءه الرد القاطع من محدثه:

-اعتبره تم با فندم.

شدد عليه بلهجة من يقرر، لا من يخير:

-ماتكلمنيش إلا أما تكون خلصت، ومتتأخرش عليا.

قال المحامي بانصياعٍ:

-علم وينفذ يا باشا.. في خلال ساعات كل حاجة هتكون بين إيدين معاليك.

.....

فتش عنها كالمجنون، في أرجـــاء الفيلا، عندما لم يجدها بغرفتهما، مما جعل قلبه ينقبض ارتعابًا عليها، لم يكن ليسمح أبدًا بإفساد ليلته مع زوجته، من قبل كائنًا من كان، ليحاسب المخطئ بضراوة، فزوجته خطًا أحمرًا لا يمكن المساس به مطلقًا، بينما كانت "تقى" تمكث بالحمام، تقف ككتلة مبهمة بلا ملامح بالمغطس، وتاركة للماء البارد الفرصة لصفع جسدها بقساوةٍ، لم تستطع كبت عبراتها أكثر من هذا، تركتها تنساب في حرقة، وعقلها يستعيد نظرة الازدراء الباردة التي كانت تطل من عيني تلك المرأة الغريبة. شهقة تبعتها أخرى عجزت عن منعهم من الخروج أسفًا على حالها، دومًا تتعرض للإهانة على يد من يعدوا من صفوة

البشر؛ وكأن احتقارها سمة تلازمها، تكومت في المغطس، وركبتيها تنضم إلى صدرها، ارتجفت بقوةٍ مع زيادة تأثير المياه الباردة على جلدها الذي بدأ في الانكماش.

مسحة حنون دافئة اقشعر لها بدنها، وتجاوب معها بأنين صامت، مطالبًا بالمزيد من تلك اللمسات الباعثة على الدفء، في تلك البرودة المجمدة للأوصال.

توقفت المياه عن الجريان، فانتبهت "تقى" لزوجها الذي انضم إليها، وجلس خلفها، ليحتوي ظهرها ويضمها إليه بذراعيه، أحست بقوته على جسدها الواهن، لم تتحرج من البكاء في حضوره، وزاد نحيبها مع قوله الصريح:

-أنا عرفت كل حاجة

آلمه ما اختبرته من دناءة حقيرة، وتعهد لها بشدةٍ:

-واللي غلط فيكي هيتحاسب.

التهبت عيناها بعبراتها الحارقة، وسألته بشجنٍ اكتسبته نبرتها:

-هو ليه الناس بتعاملني كده؟ أنا عمري ما ضايقت حد، بالعكس دايمًا في حالي، وما بحاولش أزعج حد وآ...

قاطعها مشددًا من ضمه لجسدها المرتجف:

-عشان هما نفسهم يبقوا مكانك.

انتحبت أكثر في ألم، وزاد ذلك من الوخز في قلبه، ومع تضاعف رجفة جسدها، واصطكاك أسنانها، لم يتحمل المزيد، نهض حاملاً إياها بذراعيه، أعادها إلى داخل غرفتهما، وأراحها على الفراش ليحضر لها منشفة لف بها جسدها المبتل. حاوطها من جديد، وألصقها بصدره، ليمنحها حرارته، علها تكف عن الاهتزاز، وجاب بيديه على جسدها، يحفز خلاياه على استعادة سخونته، وما إن استكانت قليلاً في أحضانه، حتى مال على أذنها ليهمس لها مجددًا عهود الحب لها:

-إنتي بس اللي موجودة هنا...

أمسك بكفها ليضعه على قلبه، فشعرت بنبضاته المتلاحقة تصل إلى أعصاب يدها، رفعت عينيها إليه، وقالت من بين بكائها المرير:

-إنت تستاهل الأحسن مني، واحدة تليق بيك.

قست نبرته –مع نظراته نحوها- محتجًا على خذلانها البائس:

-"تقى"، بلاش الكلام ده...

نظرت إليه بعينيها التعيستين، فحز ذلك في قلبه، اللعينة نجحت في زلزلتها، سيذيقها من نفس الكأس المرير، استنشق الهواء ببطءٍ ليثبط من غضبه المتصاعد بداخله، حاول أن يبدو مسترخيًا وهو يحاورها، فلانت نبرته إلى حد عندما قال لها:

-إنتي الوحيدة اللي عارفة حقيقتي من جوا ومن برا، مش محتاج أكون غير نفسي معاكي، وماتخليش أي واحدة تحسسك إنك غير كده، إنتي ملكة عليهم كلهم.

قالت بنهنة متقطعة:

-هما تعليمهم عالي، وأنا ...

مسح بيده بقايا دمعاتها من على وجنتيها، ورد بإعجابٍ غير مزيف:

-إنتي مش أقل منهم، بالعكس عندك طموح، وعايزة توصلي لمكانة كويسة في التعليم، بدليل الكورسات اللي بتخديها.

سألته برأسٍ مطرق في حرجٍ مخجل، وقد غالبت دموعها:

-يعني مش ندمان إني جاهلة؟

وضع يده أسفل ذقنها ليرفع وجهها إليه، ثم ضاقت نظراته نحوها بانزعاجٍ زائف قبل أن يعاتبها:

-أومال احنا بنحتفل بإيه النهاردة؟

عادت البسمة لتنير شفتيها، ومع هذا تذمرت قائلة:

-بس أنا شكلي اتغير، مابقتش زي الأول، شوف جسمي بقى عامل إزاي بعد الولادة؟

أشـارت بعينيها إلى ذلك الشق الذي يحتل أسفل بطنها، وقد بات أشبه بندبة دائمة على جلدها، دومًا تحاول تخبئته عن عينيه، حتى لا ينفر من شكله الشاذ، معتقدة أنه لن يلاحظ أبدًا محاولاتها البائسة لتغطيته وحجبه عنه؛ وكأنه غير موجود بها، ومع ذلك انخفضت يد "أوس" على طول المنشفة، إلى أن وصل إلى مقصدها، توقف عند ندبتها، وتسلل إلى أسفل المنشفة ليلامسها بحنوٍ جعل كامل بدنها ينتفض، ويتلبك في توترٍ خجل، خفضت رأسها حرجًا منه، كم كانت قادرة على إثارته بحيائها الدائم! راقب ردات فعلها بانتشاءٍ، ثم ابتسم يمتدح ما اعتبرته نقصًا فيها، بنظراته التي امتلأت بالرغبة:

-ده أحلى حاجة فيكي، وبأضايق لما بتخبيه عني.. ده بسببه عندي "حياة" و"ريان".. أنا باعتبره وسام مش حاجة تتكسفي منها.

تنهدت بصدرٍ يخفق بقوةٍ، فأكمل بنظراته الوالهة:

-ده كفاية إني عرفت الحب الحقيقي على إيديكي.

غازلها بمعسول الكلام، والمُدعم بالمداعبات اللطيفة، لتتجاوب سريعًا، برغبةٍ ظاهرة عليها، تحت تأثير ما يغرقها به. لم يتوقف عن ممارساته العاطفية معها، بينما تحولت نبرته للجدية عندما نطق:

-وبعدين تعالي هنا، احنا قلبناها نكد ليه، ورانا مناسبات عايزين نحتفل بيها.

سألته بوجه مخضب بحمرة ساخنة:

-مناسبة، مش كان نجاحي بس؟

استلقى بجسده عليها قبل أن يجيبها:

-أيوه .. وعيد جوازنا.

ابتسمت ضاحكة وهي ترد:

-إنت لسه فاكر؟

-هو أنا أقدر أنسى، بأحبك

قال تلك الكلمات بما يشبه الهمس في أذنها، قبل أن تنخفض شفتاه على شفتيها، لتقوم بدورها الاحترافي، في تأجيج لهيب الحب بين أجسادهما المتلاحمة.

.....

عرفت خلال تأملها الشـارد عبر الزجاج، لأمواج البحر المتكسرة على حاجز مبنى "البلازا"، أن لحظات التعاسة غير دائمة، مثل لحظات الفرحة أيضًا، كلاهما يمران على الإنسان ليختبر معنى الألم والسعادة، ووحده من يقف إلى جوارها في أشد لحظاتها ضعفًا، وفي أكثر لحظاتها فخرًا. التفتت "تقى" ناظرة نحو زوجها، متخلية عن تحديقها المستمتع، حين سألها بنبرة جافة:

-هي دي اللي ضايقتك؟

ارتعبت من رؤية المرأة المتحرشة بها تنساق خلف أحدهم، بشكلٍ شبه مذل، قبل أن يدفعها للجلوس على مقعدٍ بعينه؛ وكأنها على وشك المحاكمة، دققت النظر في ملامح زوجها الخالية من لمحات العطف، كانت على علمٍ مسبق

بشراسته المميتة، وحتمًا لن يمرر ما حدث على خير، لذا على الفور اتجهت إليه، وتعلقت بذراعه، نظرت في عينيه برجاوات غريبة، وتوسلته بأنفاسٍ متهدجة:

-"أوس"، بلاش تأذيها، أنا مسامحة في حقي.

قال بوجومٍ لم تستلذه:

-اللي يريحك...

ثم تحولت أنظاره نحو "لميس"، وتابع بقساوة جزعت منها:

-بس حقي مابسمحش فيه.

هتف الرجل الذي استقر على المقعد المجاور لزوجته المخطئة يستعطفه، في محاولة أخيرة يائسة، عله يصفح عنهما:

-يا باشا، كانت غلطة، استحالة تتكرر تاني.

أشـار له "أوس" بسبابته ليخرسه بصوته الأجش:

-ولا كلمة ..

وجهًا آخرًا مألوفًا تعرفت إليه "تقى"، انضم للمتواجدين؛ كان المحامي الخاص بزوجها، رأته يتحرك صوب الرجل، ومعه ملف ما، أسنده على الطاولة ليفتحه قبالته، ظهرت بعض الأوراق أمامه، ومعها قلم حبري، فأمره مشيرًا بعينيه:

-امضي على الورق وإنت ساكت.

لم تمضِ الليلة السابقة إلا وقد بات زمام أمر هذا الرجل تعيس الحظ، وزوجته الفظة، في يدِ من لا يشفق على المخطئين؛ وكأن بابًا من الجحيم قد فتح على مصرعيه، كل أسراره، خباياه، مواطن ضعفه وقوته، أصبحت متاحة للتصرف وفق رؤية صاحب السلطة هنا، والكلمة الأخيرة؛ "أوس الجندي". اعترض الرجل بتبرمٍ، وجسده يتلوى في حسرة:

-بس كده حرام، ده معناه إني هاخسر كل ما أملك.. صعب أمضي على الورق ده.

علق المحامي بعدم اكتراثٍ، وهو يغلق الملف:

-براحتك.

سلط "أوس" أنظاره عليه مطولاً، لينطق بعدها بلهجته النافذة:

-سيبه، وهنمشيها قانوني.

أيده محاميه في رأيه موضحًا باستفاضة مخاطر رفضه:

-اللي تحبه يا باشا، معندناش أي مانع، بس هتخش السجن يا حضرت، ده لأنك مختلس فلوس كتير، مش هتعرف تسدها لو اشتغلت طول عمرك، وخصوصًا بعد ما أسهم الشركة وقعت في البورصة، وجوا السجن الحبايب كتار، عايزين حقهم منك، باعتبار إنك مفلس، فاحتمال متكملش أسبوع فيه، ده غير المدام، في ناس كتير عايزة توجب معاها.

على مضضٍ اعتذرت "لميس"، وقد شاهدت بأم عينيها حجم الكارثة التي حطت على رأسها:

-أنا أسفة، بليز، ماتعملوش فينا حاجة، مكونتش أقصد.

أشـار لها "أوس" بنظرة أرعبتها، وجعلت الدماء تفر من عروقها:

-لسه دورك جاي.

جف حلقها كليًا، وسألته بصوت متلجلج:

-مش فاهمة؟

التوت شفتاه بابتسامة متغطرسة، قبل أن يرد بغموضٍ، جعلها تجفل أكثر:

-الجزاء من جنس العمل يا nanny!

قَصد احتقارها بنعتها بلقب الخادمة، وتأكد من تهذيبها بنفس الأسلوب المهين الذي امتهنته مع زوجته. برزت عينا "لميس" في محجريهما، وقد رأت دلوًا من المياه، وممسحة أرضيات، وخرقة شبه بالية يحملها أحدهم، ويقدمهم إليها. علامات النفور والتقزز كست ملامحها، انكمشت على نفسها متسائلة بتأفف ممتعض:

-جايبين دول ليه عندي؟

أولاها "أوس" ظهره، وأخبرها وهو يضم زوجته إلى صدره:

-حمامات البلازا محتاجة نضافة.

شهقت مصدومة من مهمتها المهينة التي فرضها عليها، ضربت بيديها على الطاولة في اعتراضٍ، ونهضت محتجة بشدة:

-استحالة أعمل كده!

ثم التفتت إلى زوجها تسأله في استنكارٍ:

-إنت موافق على ده؟

لم يتطلع إليها، ورد بتحسرٍ وهو يدفن رأسه بين راحتيه:

-إنتي السبب، بيتي اتخرب.

لم يتخذ موقفًا ضده، بل لم يعارضه من الأساس، كان غارقًا لأخمص قدميه، في الخراب الذي طال أعماله في طرفة عين. شعرت "لميس" بالمذلة الشديدة، وإحدى العاملات تجرها إلى الخارج، لتؤدي مهمتها الجديدة بالإجبار، تفاجأت بوجود رفيقتها بالخارج، تنتظرها لإتمام العمل سويًا، مثلما تشاركتا في الفضيحة

الملفقة، مع فارق عرض تلك اللحظة المهينة في بثٍ حي على معارف كلتيهما، ليزداد إحساسهما بالإذلال والخزي.

سـارت "تقى" بجوار زوجها بخطوات متمهلة، نظرت نحوه بنظراتٍ مطولة؛ وكأنه تدرسه، تفسر طبيعة تصرفاته غير المفهومة، تأبطت ذراعه معقبة على ما حدث:

-مكونتش متخيلة إنك هتعمل كده.

رد ببساطة:

-أي حد يجي على اللي يخصني مش هارحمه.

هزت رأسها بإيماءة صغيرة، وقد شعرت بالرهبة تجتاحها من العنف المغلف لكلماته، أحس برجفتها الخفيفة، وبتوتر نظراتها، لذا أكد لها:

-مش عايزك تخافي مني.. أنا بأعمل ده كله عشان أحميكي.

ردت بتوجسٍ محسوس في صوتها:

-أنا خايفة عليك.

-متخافيش، مش سهل حد يأذيني.

تنهدت ترجوه بدلالٍ ناعم:

-بلاش تعادي حد يا "أوس".. أنا بأحبك، ومش عايزة حد يأذيك.

كم كان لنبرتها تأثيرًا سحريًا على بدنه، خاصة حين تناديه بتلك الطريقة، أما عن تعبيرها عن خوفها الواضح عليه، كان من أعظم ما يمكن أن يشعر به معها! على الفور غير مجرى الحديث بينهما ليقول بنبرة عازمة، دون أن يترك لها حق الاختيار:

-عشان اسمي ده بالذات هنقعد يوم زيادة.. أنا عندي كلام كتير ليكي.

تدلى فكها للأسفل في استنكارٍ، وهتفت معترضة:

-والولاد يا حبيبي؟ هنتأخر عليهم.

أومأ برأسه ملمحًا:

-الكاميرات شغالة لايف على أي شاشة في الفيلا 24 ساعة.

توردت بشرتها، وقد أدركت أن ليلة دافئة أخرى تنتظرها، فتمتمت هامسة:

-مابتفوتكش حاجة.

انتصب بكتفيه، خلال سيره بخطواته الواثقة، لتبدو هامته أكثر شموخًا، كمن استحوذ على سلطان الدنيا، وقوتها، ثم قال بلمحة من الغرور:

-طبعًا، أنا "أوس الجندي".

-تمت-